

عذب الكلام



إعداد: فواز الشعار

لُغَتْنَا الْعَرَبِيَّةُ، يُسْرَ لَا عُسْرَ فِيهَا، تَتَمَيَّزُ بِجَمَالِيَّاتٍ لَا حُدُودَ لَهَا وَمَفْرَدَاتٍ عَذْبَةٍ تُخَاطَبُ الْعَقْلَ وَالْوَجْدَانَ، لَتُمْتَعَ الْقَارِئُ وَالْمَسْتَمِعُ، تُحَرِّكُ الْخِيَالَ لِتَحَلِّقَ بِهِ فِي سَمَاءِ الْفِكْرِ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى فُضَاءَاتٍ مُرْصَعَةٍ بِدُرَرِ الْفِكْرِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَإِيمَانًا مِنْ «الْخَلِيجِ» بِدَوْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الرَّئِيسِ، فِي بِنَاءِ ذَائِقَةِ ثَقَافِيَّةٍ رَفِيعَةٍ، نَنْشُرُ زَاوِيَةَ أُسْبُوعِيَّةٍ تُضِيءُ عَلَى بَعْضِ أَسْرَارِ لُغَةِ الضَّادِ السَّاحِرَةِ.

في رحاب أم اللغات

من فُنُونِ الْبَلَاغَةِ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ، وَهُوَ أَنْ يَفْصَلَ النَّاطِمُ فِي صِفَاتِ الْمَمْدُوحِ، ثُمَّ يَجْمَعُهَا، كَقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ تَابِتٍ:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَّوْا عَدُوَّهُمْ

أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ

إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاغْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ

ففسّم صفاتهم، وفصلها، ثم قال إنها «سجّية». وقد يسبقُ الجَمْعُ التَّقْسِيمَ، كقولِ المَقْرِي

حَوَى الْفَضَائِلَ فَالْعَلِيَا لِهَمَّتِهِ وَالْحُسْنَ لِوَجْهِهِ وَالْإِحْسَانَ لِلشَّيْمِ

دُررُ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

«من مجالس الأدباء»

فِي الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، فَبَادَرَ إِلَى امْتِنَالِ الْأَمْرِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وَانْتَشَرَ أَعْلَامُ الْإِنْصَافِ، وَاتَّصَفَ بِمَحَاسِنِ الْأَوْصَافِ، وَارْفَقَ بِالرَّعِيَّةِ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْبِرِّ إِلَى الْبَرِيَّةِ، وَأَبْسَطَ رِذَاءَ الْمَعْدَلَةِ، وَسَاوَى بَيْنَ الْخُصُومِ فِي الْمَنْزِلَةِ، وَاسْمَحَ بِجَبْرِكَ وَخَيْرِكَ، وَلَا تَظْلَمِ النَّاسَ لِغَيْرِكَ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدْلَ حَارِسُ الْمُلْكِ، وَمُدَبِّرُ فَلَكِ الْفُلْكِ، وَغَيْثُ الْبِلَادِ، وَغَوْثُ الْعِبَادِ، وَخِصْبُ الزَّمَانِ، وَمَظِنَّةُ الْأَمَانِ. وَكَبَتْ الْحَاسِدِ، وَصَلَحُ الْفَاسِدِ، وَمَلْجَأُ الْحَائِرِ وَمُرْشِدُ السَّائِرِ، وَنَاصِرُ الْمَظْلُومِ وَمُجِيبُ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. بِهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ، وَتَنْجَلِي غِيَابِ الْكُرُوبِ، وَيُرْغَمُ أَنْفُ الشَّيْطَانِ، وَتَرْتَفِعُ بِهِ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ. عَلَيْهِ مَدَارُ السِّيَاسَةِ، وَهُوَ مُغْنٍ عَنِ النَّجْدَةِ وَالْحِمَاسَةِ

عَنِ الْعَدْلِ لَا تَعْدِلْ وَكُنْ مَتِيقِظًا

وَحُكْمِكَ بَيْنَ النَّاسِ فليَكِ بِالْقِسْطِ

وَبِالرِّفْقِ عَامِلُهُمْ وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ

وَلَا تُبَدِّلَنَّ وَجْهَ الرِّضَا مِنْكَ بِالسُّخْطِ

وَحَلَّ بَدْرَ الْحَقِّ جِيدَ نِظَامِهِمْ

وَرَاقِبْ إِلَهَ الْخَلْقِ فِي الْحَلِّ وَالرِّبْطِ

وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلْمَةٌ، وَدَاعٍ إِلَى تَغْيِيرِ النِّعْمَةِ وَتَعْجِيلِ النِّقْمَةِ. يَقْرَبُ الْمُحَنِّ وَيُسَبِّبُ الْإِحْنَ، وَيُخْلِي الدِّيَارَ، وَيَمْحَقُ الْأَعْمَارَ، وَيُعْفِي الْأَنْارَ، وَيُوجِبُ الْمَتَوَى فِي النَّارِ، وَيَنْقُصُ الْعَدَدَ، وَيَسْرِعُ يَتِمُّ الْوَلَدَ، وَيُدْهِبُ الْمَالَ، وَيُتَعَبُ الْبَالَ

من أسرار العربية

درج العربُ على تسمية بعض المتضاداتِ باسمٍ واحدٍ، كقولهم: الجَوْنُ: للأبيض والأسود. والصَّرِيمُ: لليل والصُّبْحُ. والخَيْلُولَةُ: للشكِّ واليَقِينِ. قال أبو ذؤيب

فَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ بَعِيْشٍ نَاصِبٍ

وَإِخَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَتَبِعٌ

أَيُّ وَاتَّيَقَنُ

وَالنَّدُّ: المِثْلُ وَالضَّدُّ. وَالزَّوْجُ: الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى. وَالقَانِعُ: السَّائِلُ وَالَّذِي لَا يَسْأَلُ. وَالنَّاهِلُ: العَطْشَانُ وَالرِّيَّانُ

وَتَمَّةٌ اسْمٌ وَاحِدٌ لِأَشْيَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ، مِنْ ذَلِكَ: العَيْنُ؛ عَيْنُ الشَّمْسِ، وَعَيْنُ المَاءِ، وَالنَّقْدُ مِنَ الدَّرَاهِمِ. وَالسَّحَابَةُ مِنَ قِبَلِ القِبْلَةِ.
وَالدَّيْدِبَانُ، وَالجَاسُوسُ، وَالرَّقِيبُ

هَفْوَةٌ وَتَصْوِيبٌ

يَقُولُ بَعْضُهُمْ «أَنْسَحَبَ فُلَانٌ مِنَ المَكَانِ»، وَهِيَ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ «خَرَجَ» لِأَنَّ سَحَبَهُ يَسْحَبُهُ سَحْبًا، فَانْسَحَبَ: جَرَّهُ
فَانْجَرَّ. وَالرَّيْحُ تَسْحَبُ التُّرَابَ

وَالسَّحَابَةُ: الغَيْمُ

وَيَقُولُ آخَرُونَ: «وَقَدْ عَاشَتِ الأُسْرَةُ فِي رَفَاهِيَّةٍ» (بِتَشْدِيدِ اليَاءِ)، وَهِيَ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ: «فِي رَفَاهِيَّةٍ (بِتَخْفِيفِهَا) أَوْ رَفَاهَةٍ،
أَوْ رَفْهِيَّةٍ». وَتَعْنِي: رَغَدَ الخِصْبِ وَلِينِ العَيْشِ

يَقُولُونَ «إِنَّهُمْ فِي مَوْقِفٍ خَطِيرٍ»، وَيَقْصِدُونَ أَنَّهُ مُخِيفٌ أَوْ يُنذِرُ بِالشَّرِّ. وَفِي صَحِيحِ اللُّغَةِ: الخَطَرُ: ارْتِفَاعُ القَدْرِ، وَالْمَالِ
وَالشَّرْفِ وَالْمَنْزِلَةِ. وَرَجُلٌ خَطِيرٌ: أَيُّ لَهُ قَدْرٌ وَخَطَرٌ. وَقَدْ خَطَرَ (بِالضَّمِّ)، خُطُورَةً. وَالخَطِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: النَّبِيلُ. وَيُقَالُ
لِلشَّرِيفِ: هُوَ عَظِيمُ الخَطَرِ

وَالخَطِيرُ: النَّظِيرُ. وَالخَطَرُ: الإِشْرَافُ عَلَى هَلَكَةٍ. وَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ يُخَاطِرُ: أَشْفَى بِهَا عَلَى خَطَرٍ. وَالصَّوَابُ هُنَا القَوْلُ «إِنَّهُمْ
»فِي مَوْقِفٍ يُنذِرُ بِالخَطَرِ

مِنْ حَكْمِ العَرَبِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ

وَمَنْ لَمْ يُكْرِمْ نَفْسَهُ لَمْ يُكْرِمِ

البَيْتَانِ لَزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى، يُوَكِّدُ فِيهِمَا أَنَّ بَازِلَ المَعْرُوفِ، عَلَيْهِ أَنْ يَعْطِيَهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ، لِأَنَّ بَذْلَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ لَا يَعْقِبُهُ إِلَّا
الذَّمُّ وَالنَّدَمُ. وَالغَرِيبُ قَدْ يَغْتَرِبُ بِالنَّاسِ فَيُظَنُّ أَعْدَاءَهُ أَوْ صَدِقَاءَهُ، وَمَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ، أَتَاحَ لِغَيْرِهِ أَنْ يُذَلَّهُ وَيَسْتَصْغَرَ شَأْنَهُ

